الفكـــر

الفكر بمعناه الشامل والعام هو عملية عقلية وكل ناتج العقل، ولكن من المنظور الفلسفى يختص الفكر بنظرية المعرفة Epistemology والدراية والفهم والإدراك، فالفكرة تعنى معرفة ويمكن دراسة مضمونها من خلال الأهداف والمقاصد التى تجعل الإنسان يهتم بها، أو بمعنى آخر: منظورنا الشخصى لها. أما الفكرة Idea فى منظور علم النفس فتعنى حدث عقلى له طابع خاص به من حيث توارده دون الفعل المادى المتزامن معه. كمثال على ذلك قد يفكر الإنسان فى فكرة السفر قبل حدوث السفر، فالفكرة غالبًا تتوارد قبل حدوث الفعل، وهى غالبًا لا ترتبط بالفعل الفورى المتزامن معها. أخرجت الدراسات الفلسفية والنفسية للفكرة نظريات عديدة متوافقة ومتعارضة أحيانًا. إحدى هذه النظريات تذهب إلى أن الأفكار تأتى كمرحلة متأخرة من مراحل تطور الإنسان بعد مرحلة الإحساس والإدراك Sensation، وبعد مرحلة القدرة على الفهم Perception. فى المرحلة الأولى من الإحساس يتعامل الإنسان مع الأشياء المادية كنوع وصفة (مثال ذلك: السماء لونها أزرق)، أما فى المرحلة التالية الخاصة بالإدراك والفهم، فإن السماء تعنى فضاءً كبيرًا (قد يحوى سحبًا وطيورًا)، أما الفكرة فتختلف عن الإدراك فى كونها أقل دخولا فى التفاصيل، وأقل اعتمادًا على الحواس، ولكنها عمل عقلى بحت نابع من تجارب سابقة وصور وأشكال مخزنة فى المخ البشرى. قد تظهر الفكرة فى حالة الشعور الكامل، أو حالة النوم، فالعقل يعمل بإمكانياته الهائلة فى كلتا الحالتين.

تدرس الأفكار عادة من خلال الاستبطان Introspection، أى فحص المرء لأفكاره ودوافعه ومشاعره. اعتقد الفيلسوف دافيد هيوم أن الفكرة ما هى إلا صورة ذهنية تخيلية، أو نسخة باهتة من الأحاسيس، ولكن لم يتطرق هيوم إلى كيفية استخدام الأفكار المجردة التى لا تتشكل بالصور الذهنية، مثل: الأرقام، أو تعريف العدالة وتقييم الأخلاق. اعتقد بعض كُتاب القرن التاسع عشر مثل هسكلى فى أن الفكرة المجردة تتكون من صور فوتوغرافية

مركبة. وضع روبرت وودورث وبعض من علماء النفس فى القرن العشرين مفهومًا للفكرة اللاذهنية Imageless Thought بكونها استدعاء وتذكرًا للشىء الغائب بدون الاستخدام الفورى للكلمات أو التخيل. فى منتصف القرن العشرين عرف جلبرت رايلى الفكرة بكونها إدراكًا ذهنيًا ينتج عنه طرق معينة من الاستجابة من خلال الكلام أو الفعل.

كانت دراسة الأفكار من خلال الهدف منها، هى محل اهتمام الفلاسفة على مر العصور، حيث إن نتيجة هذه الأفكار سوف تنعكس على البيئة أو العالم المحيط. كانت نظرية أفلاطون هى أن الفكرة ليست حالة ذهنية، ولكنها نوع مميز من الأشياء الهادفة، وأن على الفيلسوف أن يحس بالفكرة ويعيش فيها بكامل جوانحه، وينظر إليها بإمعان، ويتفحصها كشىء مجرد وغير مرتبط بأى شىء آخر. هذا الفيلسوف سيشكل منظومة خاصة به بحيث يكون فيها العالم المرئى ما هو إلا انعكاس باهت Pale Reflection، حيث سينصب التركيز كله على الفكرة.

كانت وجهة نظر جون لوك أن الفكرة هى ببساطة: مفهومنا للأشياء التى نفكر فيها، فما دمنا فى حالة من الشعور فنحن دائمًا تشغلنا أمور الأشياء وهى الأفكار، إن السماء بلونها الأزرق، والمنضدة التى نتناول عليها الطعام، والسيارة التى تحملنا فى تنقلاتنا، كلها أشياء هى فى الحقيقة أفكار أو لها شكل "مشروع فكرة"، حيث إن جميع هذه الأشياء لها مكان فى عقولنا، ويمكن تناولها من خلال تجاربنا وشخصياتنا. كانت وجهة نظر الفيلسوف الألمانى هيجل أقرب إلى فلسفة أفلاطون أكثر من منظور لوك من حيث إن حقيقة الأشياء تكمن فى حقيقة وجودها كفكرة وإدراك سبب وجودها، وليس فى الانطباع الذى نستوعبه أو الإحساس الذى نشعر به. والمرء لا يستطيع فهم الشىء إلا بعد إدراك ارتباطه بالأشياء الأخرى التى من الممكن أن ترتبط بها، فالرقم خمسة مثلا - كرقم مجرد - لا يعنى شيئًا إلا بعد أن نُكون فى الذهن علاقة بين هذا الرقم وأرقام أخرى مثل ثلاثة الذى يقل عنه بمقدار اثنين، أو

برقم تسعة الذى يزيد عن خمسة بمقدار أربع وحدات. فى هذه الحالة سنجد أن جميع الحقائق سيرتبط بعضها بالبعض الآخر بواسطة علاقات منطقية مكونة المنظومة الكاملة Complete System، أو الفكرة المطلقة Absolute Idea، ولكن إذا فصلنا جزءاً من هذه المنظومة لتكوين منظومة فرعية فسوف تتشكل الفكرة كمجموعة من العناصر المرتبطة بعلاقات منطقية.

فى بدايات القرن العشرين ظهرت نظريات أخرى عن مفهوم الفكرة، من أهمها نظرية اليقين المنطقى Logical Positivists. انتقد معتنقى هذه النظرية الفلاسفة السابقين، باتهامهم بأن معظم أفكارهم ما هى إلا أفكار زائفة بدون أى معنى محدد. كان من السهولة على معتنقى هذا المذهب أن يطالبوا الآخرين باختبار يقين أفكارهم، وإثبات حقيقة معناها ومغزاها. أدت الدعوة إلى اختبار حقيقة ويقين الأفكار إلى ما يسمى بنظرية (الإثبات والتحقق من معنى الفكرة) Verifiability Theory of Meaning، لم يقتنع أصحاب هذه النظرية إلا بالإحساس بالتجربة التى تنتج عن الفكرة، وذلك لمعرفة معناها واختبار حقيقتها ودرجة يقينها، وعليه إذا لم ينتج عن الفكرة تجربة عملية وواقعية فالفكرة من وجهة نظر هذه النظرية ليست لها معنى، وتعتبر فكرة ليست حقيقية ولا تصل إلى مستوى اليقين. من هذا المنطق تكون جميع الأفكار الخاصة بما وراء الكون - ميتافيزيقيا - والروح، والأفكار الخاصة بالخالق، وخلافه من الأفكار المماثلة، كلها أفكار ليست لها معنى، حيث إن جميع هذه الأفكار غير خاضعة للتجربة العملية والإحساس المادى. انتقد علماء الفيزياء وكثير من الفلاسفة هذه النظرية من منظور أن كثير من الظواهر الطبيعية/الفيزيائية، هى حقيقة قائمة بالرغم من صعوبة إجراء التجارب العلمية عليها. حاول بعض الفلاسفة إعادة تشكيل هذه النظرية لتتماشى مع العلم الحديث والنظريات العلمية الجديدة، وإسقاط التناقض بينها وبين الكشوفات العلمية التى ظهرت فى القرنين الماضيين.

التفكيـــر Thinking

ورد فى "موسوعة علم النفس والتحليل النفسى" تعريف للتفكير فى العبارات التالية: (نظام معرفى يقوم على استخدام الرموز التى تعكس العمليات العقلية الداخلية إما بالتعبير المباشر منها، أو بالتعبير الرمزى، ومادة التفكير الأساسية هى المعانى والمفاهيم والمدركات.. والتفكير أنواع، فهناك ما يسمى بالتفكير الحسى أو العيانى، وهو الذى يستخدم الوقائع والخبرات الحسية المباشرة كمادة له، والتفكير المجرد وهو الذى يسمى بالتفكير الشكلى حيث محتوى المادة هو الرموز والصور والمعانى المجردة... وهناك التفكير الخرافى فى مقابل التفكير العلمى، وفى الأول يوجه تفكير الفرد مجموعة من المعتقدات والتصورات القبلية. وغير القابلة للتصديق الفعلى أو التجربة، أما فى التفكير العلمى فالفرد يفكر فى نطاق مقولات ومسلمات عقلية وواقعية، ويجرى على مادة الفكر عمليات تجريب ومناقشة. وهناك التفكير التقاربى فى مقابل التفكير التباعدى، والأول ينتظمه النمط التقليدى الذى يستخرج مصداقية النتائج من المقدمات، ومن ثم يخلص بطريقة غير تقليدية ويسمح لنفسه بأكبر قدر من الخيال، ومن ثم لا يتقيد بقوانين الواقع).

أما التفكير الابتكارى Creative Thinking فهو تفكير غير عادى وغير مألوف، ويتبع نمطًا جديدًا فى المناولة، والتوظيف، والمعالجة، فهو كما جاء فى الموسوعة السابق ذكرها: (نوع من التفكير التباعدى، والذى يتم من خلال نسق مفتوح، ويتميز الإنتاج فيه بخاصية التنوع فى الأفكار، والتى لا تتحدد مباشرة بالمعلومات المعطاة سلفًا،... ويعرفه "تورانس" بأنه عملية إدراك الثغرات، أو الاختلاف فى المعلومات والعناصر المفقودة أو عدم الاتساق، ومن ثم تبدأ عملية الوعى الذاتى للبحث عن دلائل ومؤشرات فى الموقف، واستعمال ما لدى الفرد من معلومات، وتبدأ عملية فرض الفروض واستخلاص القرائن والربط بين النتائج، وإجراء التعديلات، وإعادة اختبار

الفروض. . . إن القدرة الابتكارية قدرة مركبة ويمكن تحليلها إلى مجموعة من قدرات فرعية، ومن أهمها: الطلاقة Fluency وهى القدرة على إعطاء أكبر عدد ممكن من الأفكار إزاء موقف أو مثير معين، بصرف النظر عن طبيعة تلك الأفكار، والمرونة Flexibility وهى قدرة الفرد على إعطاء أفكار متنوعة، والأصالة Originality وهى القدرة على إعطاء أفكار نادرة وجديدة). ينبع التفكير التباعدى Divergent Thinking من التفكير الابتكارى، ويتميز باتجاهاته الواسعة، وانطلاقه إلى آفاق جديدة لم تتناول من قبل، والتفكير التباعدى لا يتقيد بحل واحد صحيح بخلاف الحلول الحسابية، فإن السؤال أو المشكلة فى التفكير التباعدى تقبل حلولا كثيرة صحيحة، مختلفة ومتباعدة بعكس التفكير التقاربى Covergent Thinking الذى يركز على حل واحد للمسألة أو المشكلة المعنية.

يملك بعض من البشر موهبة التفكير التنبؤى Predictive Thinking والذى يمكن صاحبه من التنبوء المسبق لما يمكن حدوثه، أى توقعه من أحداث ووقائع. كتب الدكتور شاكر قنديل فى "موسوعة علم النفس والتحليل النفسى" عن التنبؤ: (وعملية التنبؤ تتطلب توافر مجموعة من الشروط والمتغيرات منها الوقائع القائمة، والظروف والملابسات القائمة حول الوقائع، ثم ما يحتمل حدوثه فى ضوء الظروف والوقائع. ولأن التنبؤ حكم مبنى على ربط العلاقات بين عناصر المواقف والوقائع القائمة، فمن الممكن إذا توافرت دراسة استقصائية للوقائع أن يكون الحكم التنبؤى صادقًا أو أقرب إلى الصدق. أى أن التنبؤ القائم على دراسة وتجربة وتمحيص يكون أقرب للصدق واليقين من التنبؤ النظرى البحت). إن التفكير التنبؤى هو مزيج من عناصر هذا التفكير فى التفكير العلمى/ الرياضى/ الإحصائى Scientific / Mathematical / Statistical Thinking والتفكير الحدسى Intuitive Thinking، والتفكير/ الإحساس الفطرى Common Sense. أصبحت الحاسبات الآلية Computers أداة طبيعية ومفيدة فى عمليات التنبؤ،

واستخدام النماذج الرياضية Mathematical Models الصعب استخدامها بالطرق التقليدية.

يتميز التفكير الذاتوى Autistic Thinking بالاتجاه إلى داخل الإنسان والتركيز على الأفكار الذاتية، والبعد عن الواقع القائم، لذا فهو تفكير فردى/ شخصى يحول الإنسان إلى أسير لذاته، ويعتبر علماء النفس أن أحلام اليقظة Day Dreams ما هى إلا ضربًا من التفكير الذاتوى يستسلم الفرد فى أحلام اليقظة لتخيلات يرى فيها نفسه وهو يحقق آماله ويشبع دوافعه، ويتخطى العقبات التى تحول دون إشباع احتياجاته وتحقيق أهدافه. تختلف أحلام اليقظة عن الحلم الليلى - أثناء النوم - التى قد تبدو ممسوخة وخالية من المعنى والمنطق بعكس أحلام اليقظة التى قد يدخلها التفكير المنطقى والعقلانى إلى حد ما. يرجع ذلك إلى أن حالة النوم تعطى فرصة أكبر للاشعور حتى يعبر عن نفسه ويشبع دوافعه ويخرج مكنوناته حيث تخف حدة المقاومة التى تفرضها الشخصية على اللاشعور.

عرف الدكتور فرج عبد القادر فى المرجع السابق التفكير العيانى Concrete Thinking: (نوع من التفكير يستعين فيه العقل بالصور الحسية وتكون مادته وتركيزه فى الخبرة المباشرة والتجارب الشخصية والأشياء والأحداث الخاصة والمعينة. وهو نوع أقل رقيًا من التفكير. ولذا فهو يسود لدى الأطفال والبدائيين والأميين. كما أنه يميز بعض المرضى العقليين، على نحو ما يكثر فى حالات الفصام والإصابات العقلية العضوية. ولا يكاد يتخلص هذا النوع من التفكير من وقع المحسوسات على الحواس وإدراكها حسيا... والتفكير العيانى يقابله النوع المعروف بالتفكير المجرد). يعرف نفس المرجع التفكير المجرد Abstract Thinking: (نوع أرقى من التفكير... يعتمد على المعانى والأفكار المجردة والرموز والمفاهيم. لا على الخبرة المباشرة أو المحسوسات والمجسمات والماديات، أو الصور الذهنية لها. كما أنه يتخطى كل ذلك إلى ما وراءه من معان ورموز ومفاهيم وأفكار مجردة. ولذا يتميز

بالتعميمات وباستخدام الرموز كما فى المعادلات الرياضية واللغة. وهكذا، فإن التفكير فى المسئولية والعدل والحق والخير والشر والمبادئ الأخلاقية والنظريات الفلسفية، ووضع تصور لما سوف يكون عليه المستقبل بالنسبة لأمر ما أو ظاهرة ما. . . . . كل هذا ومثله مما يقع ضمن نوع التفكير المجرد ويشير إليه).

يعتبر التفكير الناقد Critical Thinking هى عملية عقلية لاختبار الحقائق والآراء فى ضوء مجموعة من المبادئ العقلية والنقدية، وذلك لمعرفة الأدلة والتعرف على القرائن دون القفز إلى النتائج، التفكير الناقد هو نوع من السلوك الذى يسلكه الفرد عندما يذهب إلى الحكم على قضية ما، أو مناقشة موضوع معين، أو تقديم رأى فى مشكلة. من أساسيات التفكير النقدى أن يتوافر للفرد القدرة على التحليل والتقييم، والاستنباط، وفهم العلاقات بين جميع عناصر الموضوع، والقدرة على الاستنتاج والتمييز بين الصواب والخطأ، وكذلك القدرة على التفسير واستخلاص الأحكام العامة. يستخدم مصطلح النقد الأدبى Literary Criticism لتحليل، وتقييم، وتبرير، ووصف، والحكم على الأعمال الأدبية، ينقسم النقد الأدبى إلى نوعين، الأول خاص بالنقد النظرى الذى يحاول الوصول إلى القواعد والمبادئ العامة وتشكيل الإحساس والمذهب الجمالى Aesthetic Tenets، أما النوع الثانى فهو النقد العملى الذى يختص بالعمل وحده كعمل مجرد.

قامت موسوعة "علم النفس والتحليل النفسى" بعمل تعريفات لأنواع أخرى مختلفة من التفكير التى تنحرف عن وسط منحنى التوزيع الطبيعى للتفكير الإنسانى. لا يمكن اعتبار مصطلح "تفكير غير طبيعى" تعبير صحيح، لأن أى تفكير نابع من أى إنسان هو تفكير طبيعى فى منظومة بشرية شاملة وجامعة، وقائمة على التباين والاختلاف، ولكن قد يتبع عدد قليل من البشر هذه النماذج من التفكير، لذا نستطيع أن نطلق عليه تعبير: تفكير منحرف عن التفكير السائد والرائج. تعرف الموسوعة التفكير الفصامى

Schnizophrenic Thinking فى: (وصف للتفكير الذى يميز المرضى الفصاميين من حيث عدم التماسك، والخلط وعدم ارتباط الأفكار بعضها ببعض فى تسلسل منطقى، أو عدم ارتباط الكلمات داخل الجملة الواحدة بحيث تؤدى إلى معنى مفهوم). أما التفكير الذاتوى Autistic Thinking فقد عرفته الموسوعة كما يلى: (تفكير يميز الفصامى أو شبه الفصامى وهو تفكير يشاهد أيضًا لدى الانطوائيين مع اختلاف فى الدرجة. وفى التفكير الذاتوى يصعب الانتقال من عالم التخيل والأفكار الذاتية والانشغال الدائم بالذات إلى مجال الواقع بل هو تفكير أسير عالمه الخاص دون اهتمام بالواقع). والفصام مرض عقلى يصيب الشخصية بالتصدع فتفقد التكامل والتناسق الذى يوائم ويناغم بين جوانبها الفكرية والانفعالية والحركية والإدراكية، وكأن كل جانب منها أصبح فى واد منفصل ومستقل عن بقية الجوانب الأخرى.

الإدراك وما بعد الإدراك Perception & Apperception

يشير مصطلح الإدراك فى علم النفس إلى الفهم المباشر للأشياء، وعلاقاتها بالمواقف والحوادث، والتى تتواجد فى الطبيعة مثل الإحساس بالأشجار والمنشآت، والألم الذى يشعر به الإنسان، والرتم الموسيقى Musical Rhythm، والعلاقات الهندسية من أبعاد وتشكيلات، ومعنى الكلمات المطبوعة، . . . إلى آخره من جميع الأشياء التى يراها أو يسمعها أو يتذوقها الإنسان ويحس بمضمونها، ويشعر بها ويتفهم معناها ومغزاها عن طريق المخ. إن عملية الإدراك هى نوع من الاستجابة للأشكال والأشياء الخارجية، ليس من المنظور المجرد بل كرموز ومعان. تمر عملية الإدراك عادة بثلاث مراحل هى: النظرة الكلية الشاملة أى النظرة الإجمالية للشىء المدرك، ثم النظرة التحليلية والكشف عن العلاقات بين الأجزاء، ثم إعادة التأليف بين الأجزاء والعودة إلى النظرة الكلية وهى المرحلة التوليفية، وتتم كل هذه العمليات من خلال القدرات الشخصية للفرد ومن خلال خبراته وتجاربه.

ليس من الضرورى أن تتم عملية الإدراك بوضوح وفاعلية، فكثير من العمليات الحسية تتم دون بدايات الشعور، مثل الاستماع إلى موسيقى خافتة بحيث لا يستطيع المرء تكوين صورة كاملة عنها، أو من يقرأ فى عجالة عن موضوع غير متكامل، لا يستطيع تفهمه أو إدراك أبعاده كاملا.

يأتى الإدراك من الطرف النقيض من التخيل Ideation، والذى يكون فيه الشىء مجرد فكرة أو تخيل أو صورة ذهنية طرأت على العقل دون عمل حواس الإنسان. يعتبر الوهم Illusion صورة خادعة ومضللة للإدراك، فقد يظن المرء أنه رأى شيئًا أو سمع صوتًا غير موجود فى الحقيقة، فالوهم صورة ذهنية بحتة قد يظنها البعض حقيقة قائمة. يعانى أحيانًا بعض البشر - تحت ظروف معينة أو مرض نفسى - من الوهم البصرى Optical Illusion بالإحساس برؤية أشياء وهمية، قد يبنى عليها الكثير من توابع الأفكار، وتندرج رؤية الأشباح أيضًا تحت الوهم البصرى. يختلف الوهم عن الهلوسة Hallucination، فى أن الوهم ما هو إلا تفسير مضلل لمثير إحساس حقيقى، أما الهلوسة فليس لها أساس إحساسى من الأصل، أما الخـداع والتضليل Delusion فهو خطأ فى الحكم الإدراكى، وخطأ فى الاعتقاد، ولكنه ليس ناتجًا من خطأ فى الإحساس والإدراك.

كتب الدكتور حسين عبد القادر عن معنى التفهم Apperception فى "موسوعة علم النفس والتحليل النفسى": (إنه المرحلة القصيوية فى الإدراك والتى بها تتضح معالم الأشياء، ذلك أن الصدر Ap يعنى فى اليونانية ما بعد، وكأن المقصود بالمصطلح هو ما بعد الإدراك... التفهم يقوم على تلك العملية التى يفك بها عقال الموضوعات التى تتشابه مع غيرها أو تتصل بها - وقد تتصل بالإدراك الداخلى - ... إن المصطلح قد يستخدم أحيانا ليشير لذلك الفهم الذى يرى أن التعلم على سبيل المثال إنما يعتمد على اكتشاف تلك العلاقة بين الوقائع الحالية وتلك الخبرات الخافية والتى تشكل الأساس الذى تقوم عليه الصيغة الإجمالية Schema للتربية. ولقد استخدم المصطلح

لدى كل من موري ومورجان فى الاختبار الإسقاطى الشهير المعروف باسم اختبار تفهم الموضوع Thematic Apperception، حيث الإدراك إنما هو نتاج لتفاعل دينامى بين الشخص والموقف، الأمر الذى يعنى أن الإدراك هنا يتجاوز المظهر إلى أبعاد خفية مما يستند إلى ديناميات المجال بقدر ما يتصل بديناميات الفرد ودلالات المدرك لديه). أما اختبار تفهم الموضوع فهو نوع من الاختبارات لكشف الدوافع، والانفعالات، والميول، وصراعات الشخصية الفردية، عن طريق عرض مجموعات من الصور، كل منها تصف حوادث إنسانية درامية غامضة، ويطلب من الذى يجرى عليه الاختبار بناء قصة خيالية نابعة من تفاعله من الصور المعروضة.

يعتقد الكثير من البشر - فى العصور القديمة والحديثة - فى قدرة البعض فى عملية الإدراك خارج نطاق الحس العادى، أو ما يسمى إدراك فوق الحواس Extrasensory Perception. تتمثل هذه القدرة فى الاستجابة المباشرة لبعض الأشياء أو الحوادث أو الأفكار التى تقع خارج نطاق الإحساس العادى، أو خارج نطاق التخمين والاستدلال والفكر المنطقى. يوجد ثلاث أنواع من الإدراك الفوق الحسى وهم:

- **التخاطر** Telepathy، بمعنى اتصال مباشر من عقل إلى آخر للأفكار بطريقة ما خارجة عن نطاق الاتصال العادى.
- **الاستبصار** Clairvoyance، بمعنى القدرة على رؤية كل ما هو واقع وراء نطاق البصر.
- **بعد النظر** Precognition، بمعنى القدرة على معرفة الأحداث المستقبلية قبل وقوعها.

ويمكن أن يقع تحت هذا النوع القدرة على رؤية أحداث الماضى البعيد Retrocognition، والرجوع إلى حوادث تاريخية قديمة.

المفهـــوم Concept

يمكن أن يعرف المفهوم كفكرة Idea، أو صورة ذهنية Image، أو فكر Thought، وكمصطلح فلسفى يعرف المفهوم كفكرة تحوى جميع الأشياء المتعلقة بالاقتراحات التى تأخذ الشكل المنطقى. عرَّفت "موسوعة النفس والتحليل النفسى" المفهوم: (الفكرة المجردة أو المعممة، أو المعنى العام الذى يعبر عن مجموعة من الخصائص والصفات التى يمكن انطباقها على عدد لا متناه من أفراد جنس معين، أى الأفراد الذين تنطبق عليهم صفات مشتركة). إن مفهوم (الشجرة) مثلا يشير إلى أى شجرة باعتبارها ممثلا للأشجار كنوع، أى يشير إلى الشجرة بصفة عامة، وعليه يوجد مفهوما عاما يمكن التعبير عنه (بالشجرية) Treeness، وهو مفهوم يشير إلى أى شجرة وكل الأشجار، لذا فإن المفهوم هو معنى عام ومجرد، وعموميته تعنى انطباقه على كل أفراد النوع، والتجريد مشتق من عملية استقراء واستقصاء واسعة لكل الخصائص المشتركة بين أفراد جنس معين، فهى عمليات تجريد وتجميع، ثم تفريد وتمييز.

جاء فى نفس المرجع تعريف ثان للمفهوم: (مجموعة من المثيرات التى تجمعها خصائص مشتركة، وقد تكون تلك المثيرات أشياءً أو أحداثًا أو أشخاصًا. ونحن نعبر عن تلك المفاهيم باللغة سواء فى شكل مفردات وكلمات، أو فى شكل صياغات لفظية تجمع عدة كلمات، وهى التركيبات اللغوية المعقدة، وهناك اختلاف بين المفهوم "مستقلا" فى شكل كلمة، وبين المفهوم "مشتبكًا" فى شكل جملة، ذلك أن تركيب الكلمات يترتب عليه مزج المفاهيم، ومن ثم تكتسب تلك المفاهيم التى تعبر عنها الكلمات وظائف جديدة، فدخول المفهوم فى تركيب لغوى يجعله أكثر محدودية وتعينًا، بمعنى أن حدود المفهوم القديم يمكن أن تضيق لأن عملية الامتزاج بين المفاهيم، يترتب عليه امتزاج الخصائص التى يحملها كل مفهوم على حدة. ومن ثم

فإن تكون مفهوم جديد مشترك، يجعل حدوده مختلفة، فمثلا مفهوم "منزل" مستقلا، ومفهوم "جديد" مستقلا يمكن مزجها فى مفهوم مشترك هو "منزل جديد" وهذا المفهوم المشترك ينطبق على ماصدقات أقل فى العالم الخارجى فهو عدد يقل كثيراً عن كل مفهوم منهما على حدة. . . وهكذا نجد أن العلاقة بين المفهوم كمعنى ذهنى مجرد، وبين الأشياء التى ينطبق عليها فى الواقع (ماصدقات) علاقة عكسية، بمعنى أنه كلما زاد المفهوم قل الماصدق، وكلما قل المفهوم زاد الماصدق. ولا شك أن المفاهيم تمثل أهمية قصوى لحدوث التعلم، وتحقيق التواصل الفكرى بين الأفراد، ولتحدى أشياء العالم الخارجى، ولتوجيه النشاط الإنسانى، لخلق تفاهم مشترك بين الناس جميعًا). بذلك يكون "المفهوم" من وجهة نظر علم النفس هو "معرفة"، قد لا تدرك مباشرة بالحواس، ولكن تتشكل نتائجه من معالجة Manipulation الانطباع الإحساسى.

توارد المعانى والخواطر والأفكار Association of Ideas

هى نظرية تشرح كيف ترتبط الأفكار بالعقل. كان أول من استخدم هذا المصطلح هو الفيلسوف الإنجليزى جون لوك فى القرن السابع عشر. بالرجوع إلى الفلسفة الإغريقية، فإن أفلاطون كان أول من تطرق إلى طرق الارتباط الذهنى للأفكار وكذلك إعادة تحصيلها وتفحيصها فى العقل. سرد أرسطو طاليس قواعد ومبادئ توارد الأفكار فى: التواصل Contiguity، والتماثل Similarity، والتقابل بين شيئين مختلفين Contrast. أما فى العصر الحديث فقد أدخل الفيلسوف الإنجليزى توماس هوبز فى القرن السابع عشر فكرة توارد الخواطر والأفكار فى منظوره لعلم النفس. تأكدت هذه الفكرة بواسطة كتابات دافيد هيوم فى القرن الثامن عن القوة الرقيقة Gentle Force التى تربط بين الأفكار بعضها البعض من خلال تداعى المعانى البسيطة والتى تعزز تدريجيا حتى تصبح أفكاراً مركبة ومعقدة.

تخلى علم النفس الحديث عن نظرية توارد الأفكار بالرغم من ظهوره فى صورة معدلة فى المذهب السلوكى Behaviorism وفى نظرية العالم الفسيولوجى بتروفتش عن الفعل المنعكس الشرطى Conditioned Reflex ، كاستجابة فسيولوجية لا إرادية للمثير، لا يستطيع الفرد التحكم فيها حتى لو أراد ذلك.

ظهر المذهب الترابطى Associationism بواسطة جون لوك فى القرن السابع عشر، واعتنقه كثير من الفلاسفة والمفكرين، مثل: ديفيد هيوم، ودافيد هارتلى، وتوماس ريد وغيرهم. حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت الترابطية ترى أن كافة العمليات العقلية يمكن أن ترد إلى عملية الترابط وحدها، وأن ثبات الذكريات يتم من خلال ربط العمليات العقلية، أو ربط كل فكرة مع الأخرى، حتى إن العمليات الإبداعية، والاستدلالية والعقائدية ما هى إلا عمليات ترابطية. قوض صرح المذهب الترابطى بواسطة هنرى بيرجسون فى فرنسا، ووليم جيمس فى الولايات المتحدة فى نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

الاستنتاج Reasoning

الاستنتاج هو عملية فكرية توجه نحو استنباط شىء واستخراج المعنى من الوقائع أو المقدمات وإيجاد الحجج والبراهين لإثبات صحة الاستدلال والاستنباط. ميز الفيلسوف أرسطو ما بين الاستنتاج النظرى Theoritical Reasoning والذى يختص بما نعتقده ونعتنقه، وبين الاستنتاج العملى Practical Reasoning والذى يتعلق بما نفعله، وما نخطط إليه أو نعزم فى تحقيقه. قام بعض الفلاسفة الآخرين بالتمييز بين الفكرة الاستنتاجية/ الاستدلالية Deductive Reasoning وبين الفكرة التخليقية المؤثرة Inductive Reasoning أن الفكرة الاستنتاجية بصفة عامة هى ما تخلص إلى نتيجة من موضوع معين أو من مقدمة منطقية ثابتة

Fixed Premises، أى الاستدلال إلى العلاقة بين قضية وأخرى، أو بين قضايا متعددة، أو بين جزئيات وعموميات وتنتهى إلى الحكم بالخطأ أو الصواب، أو بالضرورة أو بالاحتمال. يعتبر التفكير استنتاجى صحيح، فى حالة إذا كانت حقيقة المقدمة المنطقية تضمن حقيقة النتائج المترتبة عليها. فى واقع الحياة لا يوجد مقدمات منطقية محددة وثابتة، فدائمًا يوجد اختيارات يمكن إهمالها أو التخلى عنها. ليس من الضرورى أن يقودنا التفكير الاستنتاجى إلى نتائج جديدة، فقد يقودنا إلى قرارات نكون قد اتخذناها أو أهملناها واستبعدناها بالإحساس الفطرى Common Sense وبالإضافة إلى ذلك. ومن خلال الإحساس الفطرى المشبع بمعتقداتنا الشخصية وتجاربنا السابقة، يمكن القول بأن التفكير الاستنتاجى النمطى يتضمن الحكم بالمقبول والمعقول ظاهريا Plausible بحيث يمكن تحديد الأساس الذى تعتمد عليها هذه المقومات المنطقية. لا يعتمد التفكير والإحساس الفطرى على الحواس الخمس، أو إلى إثباتات عملية أو إلى براهين علمية ومنطقية، ولكن يعتمد أساسًا على التفكير الفطرى/الذاتى/الداخلى الذى ينبع من تفاعل/تراكم التجارب الشخصية مع الغرائز الإنسانية الموروثة بحيث يمكن - من خلال عملية عقلية سريعة، لا يمثل الوقت فيها عاملاً مؤثرًا - الوصول إلى استنتاج ما، أو أخذ قرار ما، أو الوصول إلى نتيجة ما.

تذهب نظرية الاستنتاج الاستدلالى إلى أنه يجب على المنطق أن ينصب على القواعد الاستنتاجية/الاستدلالية. يتأثر الفكر الاستنتاجى بثلاث محاور رئيسية وهى:

- تحسين الترابط المنطقى لوجهة النظر الشخصية، بحذف وإزالة أى تضارب وتناقض وتنافر وعدم تناغم فى الأفكار، وذلك من خلال إضافة التبعيات المنطقية، وعن طريق التفسير والشرح الوافر للعناصر المنطقية، وتجاهل جميع العناصر غير المنطقية.
- إشباع الرغبة العقائدية والفكرية، وتعزيز الأهداف والقيم الشخصية والجماعية.

- بناء الفكر الاستنتاجى بأقل تغيـيرات وتعديلات ممكنة، يمكن أن تضاف أو تحذف من المعتقدات والأفكار التى يعتنقها الفرد والمجتمع.

وفى العـصر الحـديث وبعد تـقدم العلـوم وتطور التكـنولوجيـا، ذهب الفلاسفة والعـلماء إلى أنه لا يمكن الجزم بدقة الاستـنتاج والاستدلال، وأن كل فكر وأى نتيـجة يمكن أن يطبق عليهـا القوانين الاحتماليـة والإحصائية، فالحقيقة المطلقة لم تتحقق ولن تتحقق بالنسبة للبشر.

التخيـــل Imagination

يعرف التـخيل بأنه عمليـة عقلية لتكـوين صورة ذهنية بدون وجـود منبه خارجى أو مثير للمستقـبل الحسى. تكون الصورة فى العادة فكرية، أو صورة مرئية خيـالية ونابعة من فكرة تتكون وتـتشكل فى العقل. يستـخدم مصطلح الخيال فى اتجاهـين يختلفان اختلافًـا طفيفًا فى تناولهمـا، الأول تقليدى وهو قائم على المحاكـاة والتقليد Imitative، والثانى إبداعى Creative وهو قائم على الأفكار الجديدة التى لم تتناول من قبل، أو لم يـسبق لأحد التفكير فيها وإظهارها. إذا كان أفـلاطون هو أول من نوه بهذين الاتجاهين، فـإن الشاعر الفيلسوف الإنجـليزى صامويل تيلور كولـيريدج هو الذى أعطى لهما التـمييز الواضح والمحـدد فى أوائل القـرن التاسـع عشـر. عرف كولـيريدج الخـيال التقليـدى بأنه صورة ذهنية نابعـة من الخيال Fancy، وقريبة فى مـعناها من معنـى الذاكرة، وتنطبق عـلى عمليات الإنـشاء والإخراج الذهنى لـلحوادث الماضية التى تتم فى العقل. وعندما تتم عـملية إعادة الإنشاء والتكوين بطريقة صحيحة، حينئذ يمكن القـول بأن المرء صاحب هذا النوع من الخيال - يملك موهبـة الخيال، أو التـمثيـل الذهنى Eidetic Imagery. قام العالـم النفسى الألمانى إيريـك جينش فى الـقرن العشـرين بالدراسـة والبحث فى مـوضوع التخيل، ووجـد أنـه سائد ومنتشـر بين الأطفال كنقطـة انعـطـاف وتحـول Turning Point فى تكوين الشخصية. ذهب الباحثون فى العقود الماضية إلى

أنه بالرغم من أن نصف الأطفال يملكون هذا الحس الخيالى، إلا أن قليلاً من البشر تتوافر لديهم هذه الموهبة عند الوصول إلى مرحلة الرشد والنضوج.

قد يثير حدث ما (مثل سماع أغنية أو رؤية منظر ما أو خلافه) خيال الإنسان مما يؤدى إلى استرجاع كامل لحوادث ماضيه. أو إنشاء فكرة أو تشكيل صورة أو مجموعة صور جديدة. يطلق علماء النفس على هذه العملية باسترجاع الحوادث الماضية Redintegration، ويستخدمها علماء النفس فى استرجاع الحوادث الماضية، بحيث يشعر المرء بأنه فى مكان معين أو يواجه موقفًا معينًا قد واجهه من قبل، وبذلك يمكن الوصول إلى أسباب العقدة النفسية. وفى حالات التطرف قد يؤدى الخيال المرضى إلى الوهم أو الهلوسة.

أما بالنسبة للخيال الإبداعى، فهو نوع من الخيال يتعلق بالفكر الإبداعى غير المألوف. يعتقد بعض المفكرين وعلماء النفس بأن الأفكار لا بد أن تحوى شيئًا من الخيال العقلى المنطقى، خاصة فى مجال الفنون والآداب، يأخذ الخيال الإبداعى صورًا عديدة مثل أحلام اليقظة والتى تعتبر ظاهرة صحية، حتى تبدأ فى التداخل مع الأنشطة الحياتية الأخرى، وبحيث لا يستطيع المرء التمييز بين الواقع والخيال، فى هذه الحالة يجد المرء صعوبة فى توظيف قدراته للتعامل مع العالم الواقعى. فى الوقت نفسه، إذا كان الفرد لا يملك موهبة الخيال، فسيتحول إلى إنسان ممل، متبلد الحس، وكئيب، أو يتحول إلى إنسان يعيش بدون الأحاسيس العاطفية والشاعرية التى يغذيها الخيال. يحاول علماء النفس فى العصر الحديث التمييز أو الربط بين الإبداع والذكاء، فهما متقاربان فى الاتجاه، وكلاهما يؤديان إلى خلق أفكار جديدة، وإبداع غير مسبق.